جزء في طلب الشفاعة من الحي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة مختصرة في مسألة طلب الشّفاعة من الحيّ بأن يشفع يوم القيامة لمن طلب منه ذلك , و ما من مسألة من المسائل المتعلّقة بالتوحيد إلا وقد بيّنها الشّرع وفهمها السّلف أحسن فهم وبلغوها لنا كما فهموها سواء كان ذلك عن طريق القول والنصح أو عن طريق العمل فلم يبق لمن جاء بعدهم ما يُحدثه في باب التوحيد والإيمان.

1_حقيقة معنى الشفاعة

. الشفاعة من حيث معناها اللغوي تعني الطلب والشافع هو الطالب

قال الخليل في العين 1\261

: "الشّافع : الطالب لغيره ، وتقول : استشفعت بفلان فتشفّع لي إليه فشفّعه في ، والاسم : الشّفاعة.. واسم الطّالب : الشّفيع"

وقال ابن منظور لسان العرب 5\ 145

".. وشفع لي يشفع شفاعة وتشفّع : طلب

.وقال الفارسي : استشفعه طلب منه الشّفاعة أي قال له : كن لي شافعا.

ورُوي عن المبرّد وثعلب أنّهما قالا في قوله تعالى (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) قالا : الشّفاعة الدّعاء ههنا"

. وتفسير الشفاعة بالطلب والدعاء جاء في غير ما موضع من نصوص الشرع.

روى أبو داود عن جبير بن مطعم قال : "أتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أعرابيٌّ فقال يا رسولَ اللهِ - جهدتِ الأنفسُ وضاعتِ العيالُ ونهكتِ الأموالُ وهلكتِ الأنعامُ فاستسقِ اللهَ لنا فإنا نستشفعُ بك على اللهِ.."

والشاهد من الحديث قوله نستشفع بك على الله.

وهذا اللفظ أي أن الدعاء يكون بمعنى الشفاعة ليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل هو عام لجميع المسلمين فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه.

فجاء قوله (كلهم يشفعون له) في سياق المدح والفضل ولو كان يتضمن معنى شركيا لما استعمله الشرع في مثل هذا الموضع.

و يظهر هذا في ما ذكره الذهبي (السير 5\148) : قال : روى صفوان بن عمرو , عن سُليم بن عامر قال : خرج معاوية يستقي، فلما قعد على المنبر ، قال : أين يزيد بن الأسود ؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطّاهم. فأمره معاوية ، فصعد المنبر ، فقال معاوية : اللهم إنّا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود ، يا يزيد ، ارفع يديك إلى الله ، فرفع يديه ورفع النّاس فما كان بأوشك من أن ثارت سحابةُ كالتّرس ، وهبّت ريح ، فسقينا حتى كاد النّاس أن لا يبلغوا منازلَهم.

2_ حكم من طلب الشفاعة من الحي بأن يشفع له يوم القيامة

فإن تبين لك معنى الشفاعة وأنها طلب الدعاء، نأتي الآن للكلام في أصل المسألة التي وُضعت من أجلها هذه الرسالة , وهي حكم طلب الدعاء من الحي بأن يشفع في الطالب يوم القيامة.

وصورة المسألة أن تقول لرجل تعتقد صلاحه أو أنه تعتقد أنه قد يُختم له بخاتمة حسنة : "إن أنت قبلك الله عنده اشفع لي يوم القيامة" أو نحو هذه الكلمات.

وهذا لم تغفل عنه الشريعة فقد جاء في السنة سواء عن النبي صلى الله عليه وسلم مقرا له أو عن صحابته رضي الله عنهم.

جاء عند أحمد والترمذي في حديث طويل وفيه عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَنَا فَقَالَ : أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَخَيَّرَنِي بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ

فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ , اجْعَلْنَا فِي شَفَاعَتِكَ

فَقَالَ : إِنَّكُمْ أَهْلُ شَفَاعَتِي , ثُمَّ أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ : إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَخَيَّرَنِي بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ،.

فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ , اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أُشْهِدُ مَنْ حَضَرَنِي أَنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا.

.فهذا واضح بيّن في طلب الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة يوم القيامة.

فإن قال قائل هذا خاص بالنبي صلى الله عليه سلم ، قيل له : هذا خطأ من جهة النظر ومن جهة الدليل .

_أمّا من جهة النظر فإن الشّرك بالله محرّم سواء كان الذي يشرك به نبيّ أو وليّ ولا يجوز أن يكون الأمر سنة من جهة وشركا من جهة أخرى فلو كان طلب الشفاعة من الحي شركا لكان كذلك سواء طُلب من نبيّ أو من ولِيّ أو من دعِيّ.

_وأمّا من جهة الدليل فقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم طلبوا الشفاعة من بعضهم يوم القيامة.

فقد روى الآجري (الشريعة 2\ 207) : عن عطية قال : أخذ كعب بيد العباس بن عبد المطّلب رضي الله عنه فقال : احفظها لي عندك ، تشفع لي بها يوم القيامة.

فقال العباس : وهل لي من شفاعة ؟

قال : "نعم ؛ إنه ليس أحد من أهل بيت نبي يسلم إلا كانت له شفاعة".

فقد طلب منه أن يشفع له يوم القيامة ولم يكن ذلك شركا.

وهذا مستقر في نفوس الصحابة رضي الله عنهم ولم يخطر على بالهم أن ذلك من الشرك بل الأمر يدخل في الفضائل كما بوّب الآجري في الشريعة (باب : ذكر شفاعة العُلماء والشهداء يوم القيامة) وذكر تحت ذلك آثارا منها أثر كعب الأحبار مع العباس رضي الله عنها.

وجاء في صحيح مسلم عن الصنابحي، عن عبادة بن الصامت، أنه قال(أي الصنابحي) : "دخلت عليه وهو في الموت، فبكيت فقال: مهلا، لم تبكي؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعنّ لك، ولئن استطعت لأنفعنّك، ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدّثتكموه، إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار"

هذا ما تيسّر في المسألة والله أعلم.

كتبه علاء الدين الحمدي ليلة الجمعة 13ذو القعدة لسنة 1444